قصص الرشيد



الجزيرة العائمة

تصدرها نهضة مصر بالفجالة

قصص الرشيد

- ٦ -

الجزيرة العائمة

بقلم

ابراهيم عزوز

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها
الفجالة - مصر

مطبعة نهضة مصر

هارون الرشيد خامس خلفاء الدولة العباسية . وقد كان عصره أزهى عصور المسلمين فى بغداد. فبلغت الدولة الإسلامية فى أيامه قمة مجدها . حتى تزلف إليها أكبر ملوك أوربا ، وخطبوا ودّها ورضاها .

وجدير بأبناء العرب فى كل مكان أن يقرءوا تاريخ هذا العصر الذهبي ؛ ويقفوا على سر عظمة أجدادهم . ليستمدوا القدوة الصالحة ، والعبرة النافعة .

وإنى إذ أقدم للناشئة هذه القصص ، التى تصور هذا العصر تصويراً ، فى بعضه الصدق التاريخى ، وفى بعضه الخيال الأدبى — لأرجو أن ينفع الله بها أبناءنا ، وأن تحفز هممهم لدرس هذا التاريخ المجيد .

والله الموفق　　　　　　　　　　المؤلف

كان في مدينةِ بغدادَ الجميلة ، في زمنِ الخليفةِ هارونِ الرشيد ، رجلٌ فقيرٌ ، اسمُه السِّنْدبادُ الحمَّالُ ؛ يشتغلُ بنقلِ حاجاتِ الناس وبضائِعِهم من مكانٍ إلى مكان .

ولم يكنْ عندَهُ بغلٌ ولا حمارٌ ولا جملٌ ، يَنْقُلُ به البضائِعَ للناسِ ، ولذلك كان يحملُها على ظهره ، ويسيرُ بها وهو في أشدِّ التَّعبِ والألمِ ؛ وكان عرقُهُ يسيلُ في أيامِ الشتاء البارِدَة .

ولِأَنَّه كان أَمِيناً ، عرفَهُ الناسُ واطمئنوا إليه ، وصارُوا يعطُونَه بضَاعَاتِهِم لينقُلَها لهم ، ولا يَمْشُون معه لحراسَتِه .

وكان في أثناء سيرِه يُنزلُ حِمْلَه من فوقِ ظَهْرِهِ ،

ويجلسُ ليستريحَ كلَّما وجدَ مكاناً ظليلاً مُريحاً .

وفى ذاتِ مرَّةٍ ، كان الحرُّ شديدًا ، وكان حِمْله ثقيلاً .

وبينما هو يَمْشِى ، ويَنْقلُ رجليْهِ فى الطريقِ بصعوبة ، التَفَتَ فوجدَ أمَامَه قصراً فخماً جدًّا لم يرَهُ مِنْ قبلُ .

ورأَى أمامَ القصرِ مَصْطَبَةً من الرُّخامِ الأبيضِ ، تُظَلِّلُهَا شجرةٌ ضخمةٌ ، تَفُوحُ منها رائحةُ الزَّهرِ الطيبَة ، وتُشَقْشِقُ فوقَهَا العصافيرُ الجميلَةُ .

فجمعَ قوَّته ، وصار يَجِدُّ فى سيرِه حتى وصَلَ إلى هذهِ المصطبةِ ، وأَنْزَلَ حِمْلَه ، وجلس فوقَ المصطبَةِ فى الظلِّ .

وبينما هو جالسٌ فُتِحتْ إحدَى النوافِذِ ، فهبَّت منها نسمَةٌ باردَةٌ لطِيفَةٌ ، وفاحَتْ رائحةُ العِطْرِ والبَخُورِ ، وسَمِعَ أصواتَ الغِناءِ وآلاتِ الطَّرَبِ والتَّغرِيد .

فشَرَدَ ذِهْنه قليلاً ، ورفَعَ وَجْهَهُ إلى السماءِ وقال بصوتٍ مُنْخَفِضٍ كأنَّه يُحَدِّثُ نفْسَه :

— سبحانَكَ يا ربى ! ! أَنْتَ صاحِبُ المُلْكِ ، ومَالِكُ الكَوْنِ ، ومقسّمُ الأرزَاقِ بين عِبَادِك . تعطِى إنسَانًا وتَحْرِمُ آخر ، وتوسّعُ رِزْقَ من تشاء ، وتُضَيِّقُ رِزْقَ مَن تشاء . أعطيْتَ صاحبَ هذا القصرِ قطعَةً من الجنةِ ، وحكمتَ علىَّ بالشقاءِ والتعَبِ . وكلُّ ذلك لحكمةٍ خَفِيَّةٍ تعلَمُها أنت ، ولا يعلَمها الناسُ .

وحينَمَا فرَغَ من حديثِ نَفْسِه ، تذكَّرَ أنَّه مُطَالَبٌ بتَوْصيلِ البضَاعَةِ فى ساعة مُعَيَّنَةٍ ، فَسَالَتْ دَمْعَةٌ من عَيْنِه ، ووَقَفَ ليحمِلَ حِمْلَه ، ويعودَ إلى سيرِهِ فى الحرِّ والعَرَقِ والتعَبِ .



وقبل أن يتمكن من رفع حِمْلِه على ظهرِه فُتِح بابُ القَصر ، وخرَج منه غُلَامٌ تُرْكِيٌّ ، أبيضُ الوَجهِ جميل الشكْلِ ، رشيقُ الجِسم ، يلبَسُ ملابسَ مِنَ الحريرِ الأحمرِ المقَصَّب ، ويشُدُّ على وسطه حزاماً عَرِيضاً ، مزيَّناً بالجواهر وسُلوكِ الذهبِ . ووقف أمامَه بِكُلِّ أدبٍ واحترامٍ ، وقال له :

— إن سيدِى يَدْعُوكَ لتكونَ ضيفَهُ اليوم ، فتَفَضلْ بإجَابةِ دعوَتِه ، والدُّخولِ إليه .

فأجابَه السِّنْدِبادُ الحَمَّالُ فى دَهْشة :

— أنا !! سيدُكَ يدعُونى أنا !! وهل يعرِفُنى ؟! وكيف يدعو سيِّدُكَ رجلًا فقيرًا مِثْلى ؟!

أظنُّكَ قد غَلِطتَ فى الرَّجلِ الذى أرسلَكَ سيدُكَ إليه !



كيف يدعو سيدك رجلا فقيراً مثلى . .

فأجابه الغُلَامُ وهو يَبْتَسِمُ فى وجهِهِ :

— كلاَّ ! كلاًّ ياسيِّدى الحمَّال ! أنا لم أُغَالِطْ ولم أُخطِئ فإنْ سيِّدى أرسلَنى إليكَ أنتَ نَفْسَكَ ، ولم يُرْسِلْنى إلى شخصٍ آخرَ ؛ فقد سمِعَ حديثَكَ ، وعرَفَ قِصَّتَكَ فأراد أن تكونَ ضيفَه اليومَ .

فلما سمِعَ السِّنْدِباد الحمَّالُ كلامَ الغُلَام ، خاف واضطرَب وقال فى نفسه :

— ياشَقاوَتى ويا سوءَ حظِّى !! لقد غَضِبْتُ على نصيبى من الحياةِ ، واعترَضْتُ على تصرُّفاتِ ربِّى ، فأراد ربِّى ان يعاقِبَنى عقاباً سريعاً شديدا !! إننى إذا دخلْتُ هذا القصرَ فلن أخرُجَ منه حيًّا مرةً ثانية .

ثم التفَتَ إلى الغلَامِ وصارَ يتوَسَّلُ إليهِ ويَسْتَعْطِفه ويقولُ له :

— إننى يا سيدِى المملُوك رجلٌ فقيرٌ ، وصاحبُ عيالٍ

وزوجةٍ ، ومعى بضاعة أُريدُ أن أُوَصِّلَها إلى أصحابِها ، لآخذ أجرِى عليها ، وأشترِى طعاماً لعيالى . فاتركنى من فضلِكَ ولا تكُنْ سببا فى جوعِ عيالِى وحزنِهم .

ولكنَّ الغلامَ كانَ ذكيًّا فعرف كلَّ ما حدَّثته نفسه به ، وطيَّبَ خاطِرَه ، وطمأَن نفسَه ، وقالَ له :

— إنَّكَ ياسيدى الحمَّال رجلٌ طيبُ القلبِ ، سَعِيدُ الحَظِّ ، وقد سمِع الله دعاءك ، وأراد أن يسعدَك ، ويُذهِبَ عنك الفقرَ ، ولذلِكَ ملأ قلب سيدى رحمةً لك وشفقة بِكَ . وإذا دخلت معى الآن إليه أغناك وأسعدك طول عُمرِك .

اطمأن الحمَّال لكلام الغلام ، كما يطمئنُّ النائمُ وهو يحلمُ حلماً جميلا ، ثم قال له :

— ولكن هذه البضاعة لا بُدَّ أن تصلَ إلى أصحابِها فى هذه الساعةِ ، فاتركنى أحملُها إليهم ، وأَعِدُكَ أنِّى أرْجعُ إليك وأنا فى طريقِ عودَتى .

فأجابه الغلامُ مصَمِّما ملَاطفا :

— لَا ! لَا ! لاتحمل همَّ هذه البضاعةِ ، فستَصِل إلى أصحابها قبلَ الميعادِ المحددِ ، وأنا أضمنُ لكَ هذا . فهَيَّا معى إلى سيدِى ، لاتكن عنِيداً سيِّىء الحظ ، فتقفِل باب السعادَةِ الذى فُتِح لك .

وجذَبَهُ من يَدِه بلطْفٍ ، وسار به حتى دَخَل القصْرَ وهو بينَ مُصدِّقٍ ومكذِّبٍ ، كأنَّه فى حلمٍ لذيذ .



سارا في طرقٍ تفوحُ منها رائحةُ البَخورِ وتزينُ سقوفَها وجدرانَها بالنُّقوشِ العربيةِ الجميلةِ ، والآياتِ القرآنيةِ المكتوبةِ بالخطِّ الكوفيِّ المذهبِ ، وتتدلَّى منها ثُريَّاتٌ فاخرةٌ ، فيها الشُّموعُ المخلوطةُ بالعنبرِ والمسكِ . أما أرضُها فقد فُرِشَت بالبُسُطِ والسجاجيدِ العجميةِ النَّادرةِ .

وهكذا حتى انتهى بهما السيرُ إلى قاعةٍ كبيرةٍ جدًّا ، كل جُدرانِها من خشَبِ الصندَلِ ، والآبنوسِ المطعَّمِ بالعاجِ . وفيها أثاثٌ فخمٌ من صَنْعةِ أمهرِ الصانعِين ، وكُلُّه مطعَّمٌ بالجواهِرِ الكريمةِ ، ومَطلِيٌّ بالذَّهَبِ .

وقد جَلَس في وَسَطِ هذه القاعَةِ رجلٌ كبيرٌ ، كامل الهيبَةِ والاحترامِ ، ظَهَر الشَّيبُ في شَعَرِ لحيَتِهِ وَرَأسِهِ ، فَزَادَهُ هيبَةً واحترامًا .

وجلس حول هذا الرَّجُلِ كثيرٌ من الأغنِياءِ والأعيان وفى جانبٍ مِنَ القَاعَةِ جَلَسَت فِرْقَةٌ كامِلَةٌ من المُغَنِّين والمُغَنِّيَاتِ . والغِلْمَانُ فى ملابسِهم الزاهِيَةِ الفاخِرَةِ ، يَدْخُلونَ بأطبَاقِ الفاكِهَةِ الرَّطْبَةِ والجَافَةِ ، وأكوابِ الشرابِ اللذيذ ، ويدُورُنَ على الحاضِرين ، يقدِّمون لَهُمْ ما يحمِلونَ من طعامٍ وشرابٍ .

فلما رَأَى الحَمَّالُ كلَّ هَذَا ، ارتَبَكَ وتحيَّرَ ، وَصَارَ يقولُ فى نفسه :

— هذا قصرُ الخليفَة هارُونِ الرشيدِ عن غَيْرِ شَكٍّ ، ولكن كَيْفَ أعِيشُ فى بغدادَ كلَّ هَذِهِ الحياةِ الطوِيلَةِ ، وأنا لا أَعْرِفُ قصرَ الخليفَةِ ؟ !

لا ! لا ! أنا لا أُصَدِّقُ أنِّى صاحٍ مُتَيَقِّظٌ ! ! أنا لا بد أن أكونَ نائماً أَحلُمُ !

ثم مدَّ يَدَهُ بخفَّةٍ وقَرَصَ نَفْسَهُ فى فَخِذِهِ ، فَشَعَرَ بألم

القَرْصَةِ . فعرف أنه غيرُ نَائِمٍ وزادَتْ حَيْرَتُه .

وما كادَ صَاحِبُ القَصْرِ يُبْصِرُ حَيْرَتَهُ وَيَرَى مَافَعَلَهُ بِفَخِذِهِ حتى ابتَسَمَ فى وَجْهِهِ ، ونَادَاهُ لِيقْتَرِبَ مِنْهِ ، وشَجَّعَهُ على الـكلام .

فتقدم الحمَّـالُ قليلاً ، وحنى رَأْسَه وقال فى أدب :

— السلامُ عَلَيـكُمْ يا سيِّدى الأَمِيرَ ! !

فأجابَهُ صاحِبُ القَصْرِ قَائِلاً فى لُطْفٍ :

— وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ اللهِ وبركَاتُه ، أيُّهَا الضَيْفُ العزِيزُ ! اجلس مَعَنَا ، وخُذْ رَاحَتَكَ ، كَأَنَّكَ فى بَيْتِكَ بين إخْوَتِكَ وأصدِقَائِكَ .

ولمـا جَلَسَ واطمَأَنَّ فى مَجْلِسِهِ وتناوَلَ كُوبَ شرابٍ وَشَرِبَه ، سَأَلَهُ صَاحِبُ القصْرِ قائِلاً :

— ما اسْمُكَ ؟ وما صَنْعَتُكَ أيها الضيفُ العزيزُ ! ؟

فوقَفَ الحمَّـالُ وقَال :

— أنا يا سَيِّدِى الأميرَ اسمِى السِّنْدِبادُ الحمَّالُ ، وصِنَاعَتِى حَمْلُ البضَائِعِ ونقلُهَا للناسِ من مكانٍ إلى مكان . وبهذه الصناعَةِ أعيشُ ، وأكسِبُ قوتِى وقوتَ عِيَالِى .

فأجَابَهُ صاحبُ القَصْرِ ، وقد ظهر السرورُ فى وَجْهِه :

— هذا اتفاقٌ عجيب ، فاسمك مِثْلُ اسمى . وأنا السندبادُ البَحْرِىُّ . أما صنَاعتكَ فهى شَاقَّةٌ ومُتْعِبَةٌ حَقًّا !! ولكن فى هذه الحياةِ ناسٌ كثيرُونَ يَتْعَبُونَ أكْثَرَ من تَعَبِكَ ، ويَعْمَلُونَ أكثَرَ من عَمَلِكَ .

ثم سَكَتَ قَلِيلاً . ودارَتْ أكوَابُ الشَّرَابِ ، وأطباقُ الفاكِهَةِ ، وغنَّتْ الموسِيقَى والجَوارِى .

وبَعْدَهَا نظَرَ السندِبَادُ البَحْرِىُّ إلى الحمَّالِ ، وقال له :

— هل أَعْجَبَكَ هذا القَصْرُ الذى نَعِيش فيه يا حمَّالُ ؟

— نَعَمْ يا سيدى السندِبادُ !! إنه قصرٌ عظيمٌ ، جَمَعَ السعادَةَ كُلَّها ، ولا شَكَّ أَنَّكَ رجلٌ طيِّبٌ فَاضِلٌ ؛

ولِهَذَا أنعَمَ اللهُ عَلَيْكَ وأسعَدَكَ ، ووسَّعَ لك فى الرزقِ . واللهُ يحفَظُ عَلَيكَ كلَّ هذهِ السعَادَةِ ، ويزيدُكَ خيراً وبركةً ! !

— إنك رجل لَطِيفٌ مُؤَدَّبٌ يا حَمَّالُ ، ولكن يَظْهَرُ أَنَّكَ مثلُ بَعْضِ الناسِ ، الذين يعتقِدُون أن الأَرْزَاقَ قد تأتى بغيرِ كَدٍّ وتَعَبٍ وجِهَادٍ فى الحياةِ .

— طبعا يا سيدى السِّنْدِبَاد ! ! إن بعضَ الناسِ سُعَدَاء ، لأَنَّهُم أصحابُ حظٍّ سعيدٍ ، وبعضُهم أشقياء تُعَسَاء ، لأنهُم أصحَابُ حظٍّ سيِّئٍ شَقِىٍّ ؛ ولهَذا يُولَدُ أحدُهم سعِيدا ، ويولَدُ الآخرُ شَقِيًّا ! !

— كلاَّ يا حمَّالُ ! ليس ما قلتَه صحيحا ! إن الأرزاقَ التى تراها بين أَيْدِى الناسِ ، ما وصَلُوا إليها إلا بعدَ عملٍ وتَعَب ، لا يساوى تعبك شيئاً إذا قِيسَ به . ومن أراد أن يَجْمَعَ غِنًى وثروَةَ ، ويعيشَ سعيداً فى حياتِه ،

فَعَلَيهِ أن يَجِدَّ ويَجتَهِدَ ويُخلِصَ فى عملِه . واللهُ بَعدَ ذلِكَ يرزُقه الثَّروَةَ ، التى يعيش بِها سعيدًا محترَمًا ، ويرِثها أولادُه من بعده .

وقد سَمِعْتُكَ تحدِّثُ نفسَكَ وأنتَ على المصطبَةِ بهذا الحديثِ الخَطَأ ، ولذلِكَ أَحبَبتُ أن أُسمِعَكَ قِصَّتِى التى جَمَعْتُ بها كلَّ هَذِهِ الثروَةِ التى أَعْجَبَتْكَ .

والآن اقضِ مَعَنَا اليومَ فى هذا السُّرُورِ ، وغدا إن شاء اللهُ تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّتِى العَجِيبَةَ ، أنتَ وضيُوفِى الكرَامُ .

ولما انتهى اليومُ استأذَنَ الضيوفُ فى الخروجِ ؛ فسَارَ مَعَهُم ليودِّعَهُم حتى خرجُوا من القَصرِ . وإذا بِهِم يرون وراءَ كلِّ وَاحِدٍ منهُمْ ، غلامًا تركِيًّا جميلاً يَحمِلُ صِينِيَّةً من الذَّهَبِ ، وفوقَهَا صرَّةٌ بها دَنَانِيرُ . فلما سَأَلوا الغِلْمَانَ قَالُوا لَهُم :

— إن سيدَنا تعوَّدَ أَنْ يُقَدِّمَ لِكُلِّ ضَيْفٍ وَاحِدًا مِنَّا ، ومعه هَذِهِ الهديَّةُ الغَالِيَة .

فتعجَّبَ الحمَّالُ مما سَمِعَ ، وتعجَّبَ معه الضيُوفُ وقالوا :

— إن السِّنْدِبَادَ البَحْرِىَّ يرِيدُ أن يُعِيدَ الكَرَمَ الذى فَقَدَتْهُ بغدَادُ بَعْدَ نَكْبَةِ البرامِكَةِ الكِرَامِ .

وفَرِحُوا بِهَذِهِ الهديَّةِ العظِيمَةِ ورَجَعُوا إلى منازلهم مَسْرُورين .



وفى اليوم التالى ، بكّرَ الحمّال بالذهابِ إلى قصرِ السندباد ، بعد ما اشترى ملابسَ جميلة ، وغيّر هيئتَه وملابسَه القديمة . ودخل القصرَ وشكر للسندبادِ مافعله معه ، وطلب منه أن يُسمِعَه قصتَه العجيبة . فانتظر السندبادُ حتى اجتمعَ الضيوفُ ، وقدّم لهمُ الشرَاب والطعام ثم أخذ يحدثهم قائلا :

— اعلموا يا أصدقائى الأعزاء ، أنى كُنت ابن تاجر غنى من تجارِ بغداد ، وقد جمع أبى ثروةً كبيرةً من الأموالِ والجواهِر ، والأرض ، والبيوت ولما تُوُفِّيَ إلى رحمَة اللهِ لم يكُن له وارِثٌ غَيرى .

وكنت شابًّا صغيرَ السن ، قليلَ التجارِب ، فصرتُ أُبَذِّرُ وأُسرِفُ فى الثروَة التى تركها لى أبى ، من غير

حسابٍ . والْتَفَّ حَوْلى الأصدقاء ، يَنْهَبون أموالِى ، ويُزيِّنون لِىَ الإسرافَ .

ولم يمضِ على ذلك إلا بضعُ سَنواتٍ ، حتى أخذتِ الثروة تطير من يدى شيئا فشيئا ، وبَدأْتُ أبيعُ الأرض والعَقارَاتِ .

وأخيرًا تنبهتُ إلى العاقِبَةِ والمصيرِ الذى أصيرُ إليه ، فعز علىَّ ، وصَعُبَ على نفسى ، أن أفتقِرَ وأحتاج بعد الغِنى والثروَةِ . وبحثتُ عن إخوَانى وأصدِقائى فوجدتهم يهربون منى ، ويَختفونَ من وجهى ؛ لأنهم شَعَرُوا بحاجتى إليهم فقلتُ فى نفسِى :

— هــذا درسٌ يَجبُ أن تتعَلَّمَه يا سندبادُ ، وكما ضَيَّعتَ ثروَةَ أبيكَ فى اللهوِ واللعِبِ ، يجب عليك أن تجمَعَ ثروَةً بالجِدِّ والعمَل .

وتذَكَّرْتُ أن أبِى كان تاجرًا ، وكان يَرحَلُ ويُسَافِرُ

إلى البِلادِ ، ويعودُ منها بِرِبحٍ كبير . فجَمَعتُ ما بقيَ معِي من الدراهِمِ والدنانِيرِ ، وبِعْتُ آخِرَ قِطعةٍ من العَقارِ ، واشتريتُ بكلِّ ذلك بضاعةً نادرَة ، وذهبتُ إلى ميناء بغدادَ ، لأبحَثَ عن مركبٍ مسافر .



وجدت مَرْكَباً مسافِراً إلى البصرَةِ ، فاتفقْتُ مع رئيسِ المَلاَّحِينَ ، ونقلتُ بضاعَتِي إلى المرْكِبِ ، وسارَ بنا في حفظِ اللهِ ورعايَتِهِ .

ومكثْنَا أيامًا فى المركبِ ، وهو يسيرُ بِنَا . وبعد مدةٍ رَأَيْنَا جزيرَةً صغيرَةً ، ليس فيها نباتٌ ولا شجرٌ . وكنا قد تَشَوَّقْنَا للنزولِ فى البرِّ ، فَطَلَبْنَا من الرئيسِ أن يُرْسِيَ المركبَ قليلا ، لكى نستريحَ فى هذه الجزيرَةِ .

رَسَا المركَبُ ، ونزلْنَا مِنْه ، وصار بعضُنَا يغسِلُ ملابِسَهُ ، وبعضُنَا يطبخُ ، وبعضُنَا يجرِى ويلْعبُ . وإذا بنا نَسْمَعُ صيحَةً مزْعِجَةً من رئيسِ الملاحِين وهو يقولُ :

— أَسْرِعُوا يا ركابُ إلى المركبِ ! اتركُوا كل ما تعملُون ! العَجَلَ ! العَجَلَ ! السرعةَ ! السرعةَ !! إنكم

فوقَ سَمَكةٍ كبيرةٍ ، لا فوقَ جزيرةٍ . والسمكةُ تتحرَّكُ وتغوصُ بِكُم فى الماءِ . هيا أَسْرِعُوا وانجُوا بأنفسِكم من الخطَرِ . فجرينا مذعورِينَ خائفينَ إلى المركبِ ، ولكن قبل أن نَصِلَ إليه ، كانت السمكةُ قد غاصَتْ بنا فى قَعْرِ الماءِ . ولم يصلْ إلى المركبِ إلا عددٌ قليلٌ جدًّا .

وكان من حُسْنِ حظِّى أن وجدتُ صُنْدُوقًا خَشَبِيًّا بجانِبِى ، فيه ملابسُ كان صاحبها يريدُ غسلها . فأخرجت منه الملابِس ، وجلست فيه وصِرتُ أُقَذِّفُ بيدى ، والأمواجُ تدفعنِى أمامَها ، عدةَ أيامٍ وليالِىَ . وأنا أكادُ أَموت من البردِ والجوعِ .

وبعد مُدَّةٍ لا أعرِفُ عددَ أيامِها — لأنى كنتُ نسيتُ كلَّ شىءٍ — وجدتُ نَفْسِى أمامَ شاطِئِ جزيرةٍ كبيرَةٍ ، فَخِفْتُ أن تكونَ مثلَ الجزيرةِ المَنْكُودَةِ السابِقَةِ ، ولم أُرِدْ أن أَطلعَ من الصندُوقِ . ثم التَفَتُّ فوَجَدْتُ فيها

شجرًا كثيرًا ، فعرفتُ أنها جزيرةٌ حقيقيَّةٌ ، وتركتُ الصندوقَ وخرجتُ إليها .

وكان فى هذه الجزيرةِ فواكِهُ كثيرةٌ ، وعيون ماء جاريةٌ ، فصرتُ آكلُ وأشربُ ، وأنامُ فى الظِّلِّ حتى عادَتْ إلىَّ القوَّةُ والصحَّةُ . فأخذتُ أمشى فيها من مكان إلى مكان .

وبينما أنا أمشي رأيتُ على الشَّاطِئِ فَرَسًا سوداءَ جميلَةً ، مربُوطَةً بحبلٍ طويلٍ فى عُنُقِها فسرتُ نَحْوَها لأعرِفَ خبرَها ، وقبلَ أنْ أصِلَ إليها خرجَ فارِسٌ من خلفِ شجرةٍ ومعه سيف ، وهجم علَيَّ يريد قتْلِي .

ولما رآنى لا أحمِلُ سلاحا ، ولا أريد شرًّا ، أخذنى وسرْنَا لنختَفِيَ خلفَ الشجرةِ ؛ فسألتُه عن قصةِ الفرسِ فقال :

— ستعرِفُ الآنَ كُلَّ شيء . . . .

وبعد قليلٍ خرجَ من الماءِ حصانٌ كأنه مارِدٌ جبّارٌ ، وصار ينظر يمينا وشمالا ، فلما لَمْ يجدْ أحدا بجوار الفرسِ ، أسرعَ إليها ، ودَفَعها أمامه ليأْخُذَها معه إلى الماءِ . فجذب الرجلُ حبلَ الفرسِ برِفْقٍ ، فسارت إلينا ، والحصانُ خلفَها . ولَمَّا اقترَبَ مِنَّا الحصانُ ، خرجَ الفارسُ من وراء

الشجرةِ ، وهجم على الحصانِ ليمسكه فخاف الحصانُ وجرى وغاصَ فى المـاءِ .

وعندَئذٍ قال لى :

— هذه فرسُ السلطَانِ ، وقد تعوَّدْنا أن نخرجَ كلَّ عامٍ بخيولِهِ الأصيلةِ إلى شاطِىءِ البحرِ ، لنصيد بها حصانَ البحرِ الذى لا مثيلَ لهُ ، ولم أكنْ سعيدَ الحظّ فى هذه المرة .

ثم أخذَنِى وسارَ بى إلى سلطانِهِم .

وصلْنَا إلى السلْطَانِ ، ودخلْنَا قصرَهُ ، فاستقبَلَنِى بعطفٍ ورحْمَةٍ ، وكان سلطانًا طَيِّبًا جِدًّا ، وسألَنِى عن قِصَّتِى فحكيتُهَا لهُ ، فلمَّا سَمِعَهَا تعَجَّبَ مِنْهَا ، وقالَ لِى :

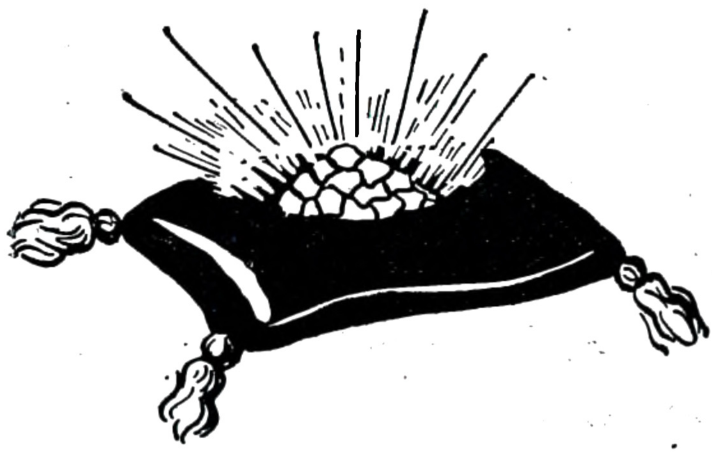
— مادمتَ تاجِرًا ، وتحْسِنُ البيعَ والشراءَ والحسَابَ ، فامكُثْ مَعَنا ، لأَنَّنَا فى حاجةٍ شديدَةٍ إليك ، وسأُعطيك أجرًا كبيرًا ، وأجْعَلُكَ مُشرِفًا على الميناء ، لتستقْبِلَ التجارَ القادِمِين إلينا ، وتحاسِبَهُم على البضائِعِ التى يُحضرونها لنا .

وهكذا أَقَمْتُ مع هذا السلطانِ فى أرغَدِ عيشٍ وأحسن

حالٍ . ونسيتُ ما حَصَلَ لِي في سَفْرَتِي ، ونسيتُ ما ضَاعَ من أمْوَالِي .

وكنتُ أَخْرُجُ إلى الميناءِ كلَّما حَضَرَ مَرْكَبٌ من المراكِبِ ، لأُحْصِيَ التجارَةَ ، وأجْمَعَ الضرائِبَ من التجَّارِ . وأعودُ إلى السلطانِ في آخرِ الأمْرِ ، ومعي كثيرٌ من الهدايا والأمْوَالِ .

فَأَحَبَّنِي السلطانُ كثيراً ، واعترَفَ بفَضْلِي وأمَانتِي وإخلاصِي ، وزادَ في وظيفتِي ومُرَتَّبِي .



وفى ذاتِ يومٍ وصلَ إلى الميناءِ مَرْكَبٌ جديدٌ ، فأَسْرَعتُ إليه ، ووقفتُ أمامَ الرئيسِ أكتُب وأُقَيِّدُ البضائِعَ التى يُخْرِجُهَا مِنْهُ .

ولما أَخْرَجَ كلَّ البَضَائِعِ ، سَأَلْتُهُ :

— هل بقِىَ عندَكَ شىءٌ آخَرُ ؟ !

فأجابَ قائلا :

— نعم ، عندِى بضائِعُ محفوظَةٌ فى باطنِ المرْكبِ ، وهى لِرَجُلٍ من بغدادَ اسمهُ السندِبَادُ البحرِىُّ ، وقد غرِقَ مِنَّا فى رحلتِنَا . وأنا أريدُ أن أُخْرِجَهَا لأَبيعَها ، وأردَّ ثمنَها لأهلِهِ فى بغدادَ .

فلما سمعتُ ذلك مِنْهُ ، نظرْتُ فى وجهِهِ بدِقَّةٍ ، فعرفْتُه وصحْتُ قائلا :

— أنا السندبادُ البَحْرِىُّ ؟ واللهِ وهى بضَاعَتِي ! الحمد للهِ الذى نجَّانِى من الغَرِقِ ، وردَّ إلىّ بِضَاعَتِي ! !

وما كادَ رئيسُ الملاحينَ يسمَعُ كلامِي وصِيَاحِي ، حتّى قال :

— لا حَوْلَ ولا قوةَ إلا باللهِ ! ! ضاعَتِ الأَمَانَةُ من النفُوسِ ، وفَسَدَتِ الأخلاقُ ! ! أتريدُ أن تأخذَ مالَ غيرِكَ ، إنَّ السندبادَ غَرِقَ وماتَ أمامَ عَيْنِي ، فكيفَ تدَّعِى أنَّكَ السندبادُ ؟ !

فلما رأيتُ منه عدَمَ التَّصْدِيقِ ، عرَّفْتُهُ بنفسى ، وذكرْتُ أمَارَات وعلاماتٍ فى البِضَاعَةِ ، وذكَّرْتُه بحوادِثَ وقعَتْ بيْنِي وبينَه . وعند ذلك صَدَّقَ كَلَامِي ، وعانَقَنِي وهنَّأَنِى بالسلامَةِ والنجاةِ من الغرَقِ . وأخرَجَ البِضَاعَةَ وسلَّمَهَا لى .

فَحَمَلْتُ بضاعَتِي ، وأخذْتُ كلَّ ما فيها من الجواهر والأصْنَافِ النادِرَةِ ، وحَمَلْتُها هديةً إلى السلطان .



عانقني وهنأني . . .

فلما عرَفَ قصَّتَهَا زادَ عَجَبهُ ، وصدَّقنى فى كلّ ما قُلته لَهُ من قَبْلُ .

وخرجتُ من عندِهِ ، وبعتُ بضاعَتِى بمالٍ كثيرٍ ، واشتريتُ بضاعَةً غيرَهَا من الجزيرَةِ ، تصلحُ للناسِ فى بغدادَ ، وشحنتُها فى المركِبِ .

ورجَعْتُ إلى السلطانِ أستَأْذِنُه فى العودَةِ إلى بلادِى ، فأعطَانِى هدايَا كثيرَةً ، وأموالاً طائلَةً ، وأظْهَرَ الأَسفَ لِفِرَاقِى ، وأَذِنَ لِى فى السَّفَرِ .



وعدت إلى المركبِ ، وســـارَ بِنَا فى حفظِ اللهِ . وكان حظُّنَا سَعِيداً فى العَوْدَةِ ، فلم تُصَادِفنَا زوابِع ولا عواصِفُ .

وبعدَ أيامٍ وصلْنَا إلى مدينةِ بغدادَ دارِ السَّلامِ ، فأخرَجْتُ بضاعَتِى ، وسِرتُ بها إلى الأسْوَاقِ ، وبِعْتُها لِكِبَارِ التجارِ بالجملَةِ ، واشترَيتُ بجزءٍ من ثمنِها غِلمَانًا وجَوَارِىَ ، وفرشاً وملاَبِسَ .

وتوَجَّهتُ إلى حارَتِى ، ودخلتُ بَيْتِى ، واشتغَلَ الغلمانُ والجوارِى بفرشِهِ وكَنسِهِ ، وصِرتُ أستقبِلُ الضيوفَ من الأهلِ والأصدِقاءِ .

وعِشتُ فَترَةً من الزمانِ فى سعادةٍ ورِضًا ، ولكنْ لم تطِبْ لِىَ الإقَامَةُ من غير عَمَلٍ .

فأخَذتُ أستعدُّ للسَّفَرِ فى رحلَةٍ ثانيَةٍ . وغدًا إن

شاءَ اللهُ تسمَعُونَ قصةَ هذه الرحلَةِ العجيبَةِ ، وما جرَى فِيهَا مِنْ حوادِث غَرِيبَةٍ .

* * *

ولما خَرَجُوا من مَجْلِسِهِ ، وجدوا الغلمانَ واقفِين يحمِلُونَ لَهُم الهَدَايَا الثمينةَ ، كما حدثَ فى الليلةِ السابقَةِ ، فَفَرِحُوا بهذِهِ الهدايا ، وتعجّبُوا من كرم السندِبادِ البحرى ، ورجعوا إلى منازِلِهم مسرورِين .

* * *

بماذا حدثهم السندباد فى اليوم الثانى ؟

اقرأ الجواب فى القصة التالية :

فى جبال الماس

قصص الرشيد

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها
الفجالة - القاهرة

الثمن ٤ مـ

مطبعة نهضة مصر
الفجالة - القاهرة